http://jgarmianuniv.net https://doi.org/10.24271/garmian.56

شعر حامد شنون قراءة موضوعية

حامد صالح جاسم

جامعة گرميان / كلية اللغات والعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

Hamd.salh@garmian.edu.krd

ملخّص البحث :

حامد ولي شنون من الشعراء العراقيين يكتب الشعر الحديث والمعاصر بأنواعه :"الشعر العمودي ، الشعر الحر ، قصيدة النثر " ، وتشغل الموضوعات الشعرية حيزاً كبيراً في شعره ، وقد أضفى على شعره الحديث ملامح تجديدية من خلال تناول الموضوعات المعاصرة ، وشعره في تناول هذه الموضوعات نمط جديد . وتسعى هذه القراءة إلى استشفاف وإبراز هذه الملامح وأُسلوب تناول موضوعات شعره بشكل مباشر وغير مباشر ، ثم بيان القيمة الفكرية والجمالية لأسلوبه في تناول هذه الموضوعات التي شملت الكورد وكوردستان ، والعراق / بغداد في شعر الشاعر ، وهذه الموضوعات هي مادة لهذه القراءة الأدبية في بحثنا الموسوم " شعر حامد شنون ، قراءة موضوعية" .

المقدمة :

الشاعر حامد ولي علي شنون من سكنة قضاء خانقين ، فهو شاعر مبدع ، له صيت ذائع في أوساط أدبية وثقافية عراقية وعربية ، لكنّه يكاد أن يكون غير معروف ولا مشهور في الوسط الأكاديمي ، فنتاجه الشعري يستحق الوقوف عنده بالبحث والدرس ، وقد جاء هذا البحث إستجابة لهذا، الاستحقاق ولسد هذا الفراغ للشاعر في الوسط الأكاديمي ، فالشاعر لم يُدرس من قبل ، وهذا أولُ بحث عنه وعن شعره .

يتكون هذا البحث من هذه المقدمة ، ومن تمهيد أوجزت فيه سيرة الشاعر الذاتية والأدبية ، ومن مبحثين ، المبحث الأول خصصته للكورد وكوردستان في شعر الشاعر ، والمبحث الثاني بحثت فيه (العراق / بغداد) في شعره ، وختمت البحث بخاتمة موجزة عن الشاعر وشعره ، ثم أتبعناها بقائمة المصادر والمراجع .

على الرغم من أن البحث قراءة موضوعية إلّا أنّه لا يستغني عن كثير من الشذرات والآراء الفنية والنقدية التي تخللت متونه.

إنّ الأفكار الموضوعية الواردة في البحث مستقاة من نتاج الشاعر الشعري ، ومما أفرزها الواقع العراقي المعاصر من ظواهر ومعاناة عاشها وعاصرها الشاعر ووظفها في شعره ، وقد أكّدها من خلال لقاءات عديدة جرت بين الباحث والشاعر.

التمهيد

السيرة والشعر (حامد ولي علي شنون)

ولد الشاعر في تشرين الثاني ١٩٦٣ ميلادي في جلولاء إذ أنهى الدراسة المتوسطة ثم انتقل إلى خانقين ليكمل إعدادية الصناعة فيها و تخرج منها عام ١٩٨٤ ميلادي .

متزوج ولديه ثلاث بنات .. يعمل حالياً موظفاً على ملاك وزارة البلديات – إقليم كوردستان – دائرة ماء خانقين حيث يقيم .. أظهر اهتماماً بالشعر العربي منذ مقتبل العمر .. إذ قرأ للعديد من روّاد الحداثة من شعراء العراق ومنهم (عبد الوهاب البياتي ، وبدر شاكر السياب ، أحمد مطر) ومن الشعراء العرب (نزار قباني ، وأمل دنقل ، وأدونيس ، ومحمود درويش) وغيرهم .. ومن ثم دأب على قراءة شعر شعراء العصرين الأموي والعباسي ، فمن العصر الأموي قرأ شعر : (الأخطل ، الفرزدق ، ، عمر بن أبي ربيعة) ، ومن العصر العباسي قرأ شعر : (المتنبي ، وأبي العتاهية ، وأبي العلاء المعري) ، وأخيراً قرأ شعر شعراء العصر الجاهلي (زهير بن أبي سُلمى ، وعروة بن الورد ، وعمرو بن كلثوم) وغيرهم .

وفي هذا انسجام واضح ما بين قراءاته ومراحل عمره ، فكلّما تقدّم الإنسان بالعمر تاقت روحه إلى ماهو أعمق وأكثر تأثيراً في النفس .. حتى تبلورت لديه موهبة ثقافية حاول تجسيدها في محاولات شعرية غير ناضجة حين كان طالباً في الاعدادية ، وهو ما تسبب لاحقاً في حثّه على المزيد من القراءة والتوسع في مجالات أخرى منها التأريخ ، وفلسفة الأديان ، فانكبّ على قراءة القرآن الكريم ، والسيرة النبوية التي تضمنت روايات وأحاديث شريفة ، فضلاً عن قراءة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد .. حتى أدرك أن للشعر وظيفة أسمى وأعمق من كونه ترفاً فكرياً كما يحلو للبعض تعريفه .. ، فالشعر عند حامد شنون محاولة عقلية فلسفية لفهم الوجود وما فيه من ظواهر أثّرت في تطور الفكر الإنساني حين تجلّت في روائع الموروث الشعري الصوفي عند (ابن عربي ، وابن فارض ، والحلاج ، والبسطامي) وغيرهم .. ولذلك نجده قد اختار توظيف الشعر لِعدّه محاور للتعبير عن هموم ومعاناة المجتمع ودليلنا على ذلك ما يأتي ، فالشاعر :

١- عضو نقابة الفنانين ،المركز العام ، بغداد ١٩٩٤.

٢- عضو جمعية تطوير (أرتميتا) [1] ٢٠٠٧ .

٣- عضو جمعية الفن والأدب الكوردي ٢٠٠٨ .

٤- عضو ملتقى الثقافة العربية ، بغداد ٢٠١٣ .

انظمّ الشاعر إلى منتدى (نبع العواطف الأدبية) عام ٢٠١٢م وهو ملتقى ثقافي يُعنى بنشر نتاج الأعضاء المنتسبين إليه ومقره استراليا ، والامارات العربية المتحدة .. بإشراف ورعاية الدكتورة عواطف عبد اللطيف

ومدير مجلس الإدارة الأستاذ شاكر السلمان ، وبإلاشراف الأدبي : عبد الكريم سمعون ، وسولاف هلال عضو هيئة النبع .

وللشاعر حامد شنون قصائد عديدة منشورة في موقع المنتدى ، كما أن له مساهمات في مجلات إلكترونية منها (مجلة معارج الفكر) لندن ، و(مجلة الثقافي) (استوكهولم) .

وللشاعر مجموعتان شعريتان ، الأولى (غناء القبّرة) وتضمُّ قصائد عشر (١٠) ، هي : (السيرة الذاتية للبارزاني الخالد ، وليالي بغداد ، والحرية أو الوطن ، وصور من الأنفال ، وإلى كوران ، وغداة الانقلاب ، وأُحجية ، وإلى محمود درويش ، واستراحة مقاتل ، والسدرة) ، أمَّا المجموعة الثانية فتضم (٢٨) قصيدة ، وعنوانها (رجل مع إيقاف التنفيذ) وهذه القصائد هي : (رجع الناي ، وحرية ولكن ، وحوار بعد منتصف الويل ، وصباحات الخميس ، ولا شيء ، ورجل مع إيقاف التنفيذ ، ورعشة ، وإلى أبي ، وإلى حسين مردان ، وهمسات ، وإلى من يهمه الخمر ، وشطحات ، وآخر صور السلطان ، وإقامة جبرية ، وحقيقة ، وقيود ، واعتذار ، وعموديات ، وعولمة ، وبين قتيل وعميل ، وقصة قصيرة جداً (ق . ق . ج) ، وغيمة ترتكب الهطول ، وصور من بلادي ، ولا بأس ، وألق الجذور ، والعراق ، وإعتذارية بطعم الإثم) والشاعر حامد شنون يكتب الشعر بأنواعه : الشعر العمودي ، الشعر الحر ، قصيدة النثر ، وأغلب قصائده من الشعر المنثور ، كما أنَّه بارع في كتابة قصيدة الومضة إذ تظهر براعته وقدرته في التكثيف والاختزال ،ومن الجدير بالذكر أنّ قصائد الشعر العمودي تفتقر إلى ضبط أوزان وتفعيلات بحور الشعر العربي التي أثبتها الخليل الفراهيدي ،وعليه لم يستدلُّ بها الباحث في هذا البحث .

المبحث الأول

الكورد وكوردستان في شعر حامد شنون

تغنّى الشاعر في عدد من قصائده بطعم ولذة الحرية في العراق عامةً وفي إقليم كوردستان خاصة ، ذلك بعد عام ٢٠٠٣ ميلادي ، بعد تغيير سلطة الحكم في العراق ، ففي قصيدة (السيرة الذاتية للبارزاني الخالد) العمودية الطويلة المتكونة من ثلاثة وخمسين بيتاً ، التي نظمها في صيف ٢٠٠٣ ميلادي، يصف فيها حالة المعاناة والقهر وضنك العيش أبان النظام السابق ، وبعد زوال ذلك النظام نراه يتغنّى بطعم الحرية ولذتها ويمدح نضال الشعب الكوردي ، ويصف جمال طبيعة كوردستان في قصيدة " استراحة مقاتل" :

إنني لا أهوى الحياة إلا في الربيع
وما يخلفه القطيع
حين تجوبين حافية ، مزارع الكروم
حين الفيوم
تغطي الشاهقات والوديان
فأرنب مذعور ..
وفي العلا صقر يحوم [٢].

وفي القصيدة كثير من مواضع ومواقف المدح والوصف والفخر بكوردستان وبشعبها وأمجادها والكفاح المسلح للبيشمركة الأبطال الذين سطّرو بطولاتهم وصاروا أُسوداً للدفاع عن الأمة وعن أرض كوردستان ، حتى جاء

الفرج و تحررت كوردستان ، وهذه الحرية لم تأتِ ولم تتحقق إلّا عن طريق النضال والكفاح السياسي والمسلح والتضحيات الجسيمة التي قدّمها شعب كوردستان ، ففي قصيدة (السدرة) المهداة إلى المناضلة الكوردية (ليلى قاسم) ، يمدح الشاعر فيها المناضلة بعد أن كابدتْ درب الكفاح فأودى بها إلى السجن ثم الاعدام لتكون شهيدة النضال ، فالسدرة رمز إضائي يشير إلى نهاية الأشياء الجميلة والثمينة والمؤثرة كسدرة المنتهى التي ذكرها الله تعالى في سورة النجم : " عند سدرة المنتهى ، عندها جنّةُ المأوى"[٣] .

فهذه المناضلة الكوردية تجسد – في هذه القصيدة – نهايات وتداعيات الثائرين على درب الكفاح ، إمّا النصر ، وإمّا الشهادة ، فالسدرة رمز لخلودهم ، ويبقى هذا الرمز مهمازاً يوقظ الشعوب من سُباتها ، الذي يرفض السكوت على الظلم والرضوخ للتعسف ، فيقول الشاعر :

آه يا أولادي لو تعرفون
ماذا يعني ليلُ كانون
ماذا يعني زواج الظلمة بالحزن الثقيل
ماذا يعني
والصبح مستحيل. [٤]

بعد وصف منطقة (بانميل) [٥] يعمد الشاعر إلى بناء حكائي للقصيدة على لسان امرأة عجوز ، فامتزجت ظلمة ليل كانون الطويل بعتمته وبرده بالحزن الكبير ، وهذا يعني أنّ الخلاص بعيد ، فهذه القصيدة تبدأ بالحزن و تمرُّ بصفحات الأمل والكفاح والإنفراج الذي يكسر شوكة اليأس والحزن المتواصل مع امتداد القصيدة حتى تقف وتصمت بصمت وسكون هذه المناضلة على حبل المشنقة فتنتهي القصيدة بتراجيدية وسمفونية حزينة :

صوت لنا ، إعلان
ياكورد ياذخيرة الحرية والإنسان
ياجباهاً لاتعرف الهوان
الآن يا أيُها الرجال
صار لنا عنوان.[٦]

تتموج القصيدة في تذبذبها وخفقانها بين الحزن والحرمان وبين الأمل والثورة والاحتفاء بالحرية والخلاص من الاستبداد والفخر والمدح للكورد وكوردستان ، فهذه القصيدة رسالة نضالية وشعبية تبوح بآمال الذات ، الداخل والخارج ، فالجدّة تروي سيرة نضال وكفاح (ليلى قاسم) لأحفادها فكلمتا (عنوان ، إعلان) كناية عن خلاص كوردستان من ظلم وظلام الاستبداد ، ذلك في سرد حكائي ، تروي الجدَّة :

كبرت ليلى
قالت : كلا
للشمس لا تضرب فوق حقولنا
للأرض لا تمرح فيها خيولنا .. كلّا. (٧)

البنية القصصية تحيل نسيج أحداث سيرة الكفاح إلى حوار داخلي يتناوب أدواره ، الشاعر ، الجدّة ، الأولاد ، وأصحاب القضية ، حتى تسجل الشخصية الرئيسة (ليلى قاسم) أقوالها مباشرة في نهاية مأساوية يختم بها الشاعر هذه القصيدة برسالة ليلى إلى اخيها (سلام) في ليلتها الأخيرة في السجن :

أخي سلام

غداً لي موعد مع الإعدام
غداً سيأتي الزبانية
ذئاب مسعورة ثمانية
يريدون إِخماد جذوتي
يريدون إِعدامية
أخي سلام وصيتي بعد السلام
أن تروي لي إخباريه
فانا الآن في هذه اللحظات
أتذكر كوردستان
أبوابها المشرعة للشمس
وديانها المفتوحة للغزلان [٨].

هنا (ليلى قاسم) تبدي نبوءتها من أنّها واثقة مما حصل لها اليوم ، فلا بُدَّ أنّه يأتي يوم تنال فيه كوردستان حريتها ، وهذا ما يصدقه واقع الحال في كوردستان من بعد رحيلها .

وفي قصيدة (حرية ولكن ..) نجد هذه النظرة التفاؤلية تتضاءل عند الشاعر ، وبعد استقرار كوردستان وإنشاء الإقليم والحكومة والبرلمان ، يستمر الكثير من معاناة المواطن ، فتصادر جملة من الحريات مع عدم الإيفاء بتحقيق أماني الشعب ، ففي غفلة من الزمن يركن الشجن والخيبة نفس المواطن ، فيقول حامد شنون :

حرية ولكن ..
متشحة
متشحة بالخيبات
في غفلة من الشجن
تجرأت الحرية
طالبت بتصريح إقامة
وحيث سؤالها عن مثواها الحالي
تمتمت ... تمتمت
الزنزانة ١٣ .. سجن القاصرات [٩]

فكرة القصيدة توحي إلى أن الحرية شخصية الحدث ، وهي تبحث عن خلاصها ، فهي قاصر برقم (١٣) التشاؤمي الذي له بعد سلبي باقترانه بـ (الزنزانة في سجن القاصرات) ، فنظرة الحكومة والمجتمع إلى الحرية قاصرة .

وفي قصيدة (صورة من الأنفال) يشير الشاعر إلى حدث الإبادة الجماعية التي وقعت على قرى بكوردستان العراق ، فيصوغ القصيدة على شكل حكاية مأساوية لفتاة تستيقظ بعد فقدان الوعي تحت الأنقاض ، فتنادي أباها الشيخ المسجى بلا وعي ، ولكن مجيء دبابة مع الجنود لتدهسهما وينقطع صوت النداء :

أبي
استيقظ أبي
فقد حان وقت الفرار
أسراب الجراد ياأبي جاءت

... أسراب الجراد
عند عتبة الدار
أسراب الجرا .. أسراب آل..
وصوت جنازير الدبابة
ينهي ذلك الحوار
ليهوي من كوخهم جدار
وينام شيخ وطفلة
وشهيدين.(١٠)

القصيدة من عنوانها (صور من الأنفال) تناص إشاري إلى (سورة الأنفال) ، الشاعر غيّر سين السورة إلى صاد الصورة ليستقيم الاجترار المعنوي واللفظي بين الاسمين ، ولكن حُوِّلت كلمة الأنفال من معناها الإيجابي في القرآن إلى معنى سلبي في إطار الاستخدام النفعي للدين واستغلاله لصالح النظام السابق ، فإذا كانت الأنفال قد حدثت بحق المشركين في زمن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وآله ، فكيف يكون بحق المسلمين في عصرنا الحاضر ؟!، فصورة الحدث تجسد الحوار بين صبية وأبيها إزاء هول ماجرى في تفاصيل المشهد الدرامي الذي يبرز براءة الضحايا وقسوة الجاني ، وفي مشهد الجراد إشارة إلى الجنود الذين اجتاحوا أرض كوردستان العراق في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي :

يا لله
يالهول مانراه
إنْ هو إلّا بيت ريفي منهار
إنْ هي إلّا صبية كان اسمها كلبهار
تخرج من تحت الركام
تنفض عن وجه أبيها الغبار
أبي ...
أما زلت نائما
لكن ماهذه الدماء
ترفع يديها للسماء
يا إلهي
يا محمد
يا نبي
هل حقاً مات أبي
الأرض حبلى يا أبي
وأنا وحدي لا أقوى على الحصاد
فنحن في أول الربيع .. والقطيع
ما باله لم يرجع القطيع
ما باله راعينا العجوز
مُسَجىً بين الدمار

والقبّرات حوله موتى
والمزمار
بل ما بالها القرية نامت
يا إلهي ، يا محمد
يا نبي
أهي القيامة قامت ؟ (١١)

الخطاب في هذه الأسطر من القصيدة بمناداة الله تعالى والنبي محمد صلى الله عليه وسلم وآله إشارة إلى إسلام وإيمان الشعب الكوردي وكيف يكون هذا الدمار والرسول الكريم يقول : " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه "(١٢) ، وكيف هؤلاء الجراد أحلُّوا سفك دمائهم وسلب أموالهم ، فهذه الأسئلة إنّما هي استنكار للأفعال المشينة التي ينهى عنها الدين والعرف الإنساني.

وفي قصيدة (إلى كوران) ، ويقصد الشاعر حامد شنون به الشاعر الكوردي "عبد الله كوران" الذي يعدُّ من أعلام ورواد شعر الحداثة ، ويمثّل منعطفاً في تاريخ الأدب الكوردي ، ويراه حامد شنون سفيراً للأدب الكوردي المعاصر ، لذا أهداه هذه القصيدة تكريماً له " ولينبّه الجيل الجديد إليه وإلى شعره ، آملاً أن يعيد الجيل الجديد قراءة شعره بتأنّ وروِّية ليلمس ويأنس مدى استشراف " عبدالله كوران" وفراسته لمستقبل كوردستان ، فيقول حامد شنون في مطلعه :

أوراق عشق تناثر فوق الصخور
فالقبرات البيض والراعي العجوز
يداعب نايه المكسور
وهوره مان ووديانها الملأى بالخمور
ونسائها المثقلات بالحلي والبخور
والشعر في أصله
غور في المجهول
والحقول
بقايا ... مجموعة قبور
وأنت ياكوران
وحدك المسؤول
كوران .. يا رجلاً أطلق العنان
للسفح ، للاشكفت ، للأديان
لمزارع العنّاب
تدوسها الغزلان
للثلج حين يذوب
يكتسح الخرمان (١٣)

الشاعر حامد شنون يستفهم بهذه الصور ، وتفسير عما آلت إليه الأوضاع في كوردستان وفي العراق بعد التغيير السياسي في البلاد ، فهو يستحضر ويسأل الشاعر كوران عن مظاهر الطبيعة الجميلة كيف كانت صامتة وغائبة عن ملامحها الجميلة منذ خمسين عاماً (بعد كذب دام فينا ، خمسين عاماً) (١٤) ، حتى

أصبحت الآن ناطقة ومتحركة تستقطب الأهل والغرباء ، الخصم والصديق للتعايش بأمن وسلام في كوردستان ، ذلك بأمن وسلام بعيداً عن كل انتماء آخر " ديني ، عرقي ، مذهبي" . فكوران شاعر من دعاة الحرية والإنسانية ، والحفاظ على كرامة أيِّ إنسان ينبذ كل أشكال التمييز ، هذه الأسطر الشعرية بصورها تشكّل عاملاً مشتركاً يجمع كل أطياف الإنسانية المختلفة على فطرة وسليقة التعايش بسلام :

بعد أن كان كلامك شعراً
أصبح الشعر كلام
فالإمام .. عاد في فتواه الأخير
يدعونا إلى الجبال
وهو من مخدعه يمارس النضال. (١٥)

وفي الأسطر الثلاثة الأخيرة يفاجئنا الشاعر بمفصل شعري ينتقد فيه الحكام الذين يزجّون الثوار إلى القتال ويستنهضون هممهم وهم في مخادعهم صرعى الرذيلة والعمر . ثمَّ يستحضر حامد شنون مفاصل من سيرة الشاعر كوران وفيها إصدار أمر قبض عليه من قبل حكومة بغداد فهرب إلى السليمانية ، فأُودع ابنه "هوكر" السجن بدلاً عنه في السجن ، وهذا دأب كل سلطة جائرة تأخذ البريء بجريرة غيره :

والعار كل العار
للضحّاك
الضحّاك
ما زال مرعوباً من الفكر
ما زال يعتاش على الكفر
ما زال من غبائه
ما زال في يقينه يخشاك. (١٦)

الضحّاك رمز للسلطان الحاكم في بغداد ، والاصل أنّ في قصة وأسطورة "كاوه حداد" له موقف استنكار ورفض من الحاكم " الضحّاك" فالرمز يشير إلى تشبيه حكام اليوم بالضحّاك ، فهُمْ مثله يخشون الكلمة ويصادرون حقَّها في الحياة ، السلطة تجبر الرعية على التغاضي عن أخطائها ، وتجاهلها مهما كانت كبيرة ، في عرفها المواطن يجب أن لا يسمع ولا يرى ولا يقول ، وعليه السمع والطاعة فحسب ، ولكن صوت الحرية الذي حبسه السلطان له صدى كصوت الحرية في غناء "بول روبسن" المطرب الزنجي الذي غنّى لحركات التحرر في أمريكا اللاتينية (١٧) ، هذا ما يؤكّده حامد شنون ، إذ يقول :

بول روبسن ..
مَنْ يسمعك عندنا فقد كفر
فصوتك العابر لتخوم الأرض دون جواز سفر
ممنوع من الوصول إلينا
فالحرية عندنا جنون
والغناء عندنا جنون .. والفنون
هو أن نُقبّل يد الجلاد
هو أن نطوف في البلاد بلا عيون . (١٨)

الشاعر حامد شنون يتكلم بلسان الشاعر "كوران" إذ يخاطب ابنه " هيوا" ، فيقول : إنّ من ديدن الحياة أن يُورِّث الآباء أبناءهم الأموال ، ولكن كوران يُورِّث ولده ميراث الفكر والشعر على عكس أولاد الحكام والسلاطين الذين يرثون الأموال والقصور والقلاع والجواري والخيول ، وكل ذلك يندثر على مرِّ الزمن والأحداث وانقلاب الأيام ، وأمَّا الشاعر يظلُّ خالداً بعد موته بأفكاره وكلماته وأشعاره :

ولدي هيوا
قضت الأعراف يا ولدي
أن يترك الآباء
بيوتاً وقلاعاً وخباء
قضت الأعراف يا ولدي
أن يرث الآباء خيولاً وجواري
وإماء
لكنّي يا ولدي
لن أموت
فللأنبياء بيوت
تحرسها نسيج العنكبوت
وغداً حين الثلج للسفح يعود
حين الورود
تنحني للراعي العجوز
للقطيع في سجود
حين النبع في قرداغ
يفتح يديه لصبية نهود
حين القيود تتكسر في شميران
حينها الغزلان ترتع بأمان
حينها سأعود [١٩]

الشاعر "كوران" سيعود من خلال ما ترك لابنه من ميراث فكري وشعري ، متمثل في البيت الذي يحرسه العنكبوت في إشارة إلى سيرة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وآله ، حيث يحلُّ الأمن والسلام في إقليم كوردستان بعد موته ، وهذا الاستباق والحدس قد تحقق فعلاً ، فاليوم تنعم كوردستان بالحرية والاطمئنان .

لم أرَ في المجموعتين الشعريتين للشاعر حامد شنون ما يشير بأنّ الشاعر خاض تجربة الحب بنفسه أو أنه تغزل بفتاة أو امرأة ما ، وإنّما عالج موضوع الغزل على لسان شخصيات قصائده التي بناها بناءً حكائياً ، ورأيتُ أنَّ قصائد الغزل في شعره قليلة جداً ، وفي الغالب وجد الباحث أنّ شعر الغزل والحب يداخل شعر الوطن والحرب والثورة والنقد والهجاء السياسي ، فالشاعر يبني القصيدة الغزلية من نسيج الحب والحرب والثورة ، ويكون الحب ظلاً وافداً على غيره من الموضوعات ، فتبرزها ، فكأنّ الشاعر يحدو تقليد القصيدة القديمة بمطالع غزلية ، أو يداخل شعر الحب والغزل بشعر النضال والكفاح والنقد السلطوي حتى تنتهي القصيدة بالنقد اللاذع للسلطة أو بإنهيارها .

في قصيدة (استراحة مقاتل) يقول الشاعر :

دع سيفك وحيداً يتصدأ
مصلوباً على الجدار
يلفظ أنفاسه الأخيرة
هذا أول السكر
والرقص حتّى الفجر
والأجساد المثيرة
قالت حبيبتي هذا وأطلقت
ضحكتها الشهيرة
وفي ركن مظلم
من تلك القاعة الكبيرة
وجدتني وحيداً
أحاور نفسي
وفي رأسي .. أسئلة كثيرة
يا إلهي
ما بالها تلك الفاتنة ، اللعوبة ، الصغيرة
ما بالي أنا
بل ما بالها الأشياء
كلها أصبحت تافهة حقيرة.(٢٠)

بعد إنتهاء الحرب يلتقي الحبيب المقاتل بحبيبته التي تغيرت بسبب الحداثة والتغيير ودخول التكنولوجيا ووسائل الاتصال الحديثة إلى البلاد ، فهو يعاتبها وهي تظهر الميوعة واللامبالاة على حياتها حتى صارت غير الحبيبة التي يعرفها ، فالصدمة تأخذ الحبيب في سلوك حبيبته حتى يعتزل الجميع في ركن القاعة ليتفكر ويسأل بحيرة عن تغيرات سلبية أضفت على الحياة التفاهة والبلادة، فيسترجع الحبيب المقاتل "البيشمركة" أيام الكفاح المسلح ويربطها بواقع الحال النتيجة غير المرجوّة :

المغارات التي كُنا نأوي إليها
ما بالها أصبحت صالات رقص
للدراويش وأشباه الرجال
ما بالها الجبال
...
...
هل فينا مَنْ يتذكر
بدلته الكوردية القديمة
اليشماخ ، الشال
إنّه .. مجرد سؤال.(٢١)

الدراويش رمز للفقراء الأصفياء ، فتغيّر هذا الرمز في هذه السطور ليكون "الدراويش" رمزاً للأغنياء وأشباه الرجال الذين يرتادون الحانات وأماكن اللهو والترف والسهر الليلي ، فيوجّه الشاعر سهام النقد للوضع الجديد المزري ، فالحداثة تقتل الأصالة والرومانسية في الطبيعة والإنسان ، وعواطف الحب والعشق اجتاحتها عواصف الحداثة المادية وأحالتها إلى أسلاك من الجمود :

آه حبيبتي لو تعرفين
معنى عذابات السنين
أ لمثل هذا فنينا عمرنا ؟
أ لأجْلِ هذا عقدنا أمرنا ؟
لا .. هذه لست أنتِ
أمّا أنا ...
سأبقى أعشقك كما كُنتِ
أُريدك كما كنتِ
ربيعة الهوى
إنني لا أهوى الحياة إلّا في الربيع
حين تجوبين حافية ، مزارع الكروم
حين الغيوم
تغطي الشاهقات والوديان
فأرنب مذعور
وفي العلا صقر يحوم. (٢٢)

استوحى الشاعر هذه القصيدة من واقع ماض أصيل ، إذ الثورة والكفاح المسلح يصيران إلى واقع رومانسي أضاع الأصالة الثورية ، وهذا الضياع ثمرة ذلك الكفاح ، المقاتل الحبيب يتساءل ويتعجب في صدمته ، لكنّه يتشبث بالكفاح والأصالة ويرفض التغيير السلبي لمظاهر الحياة ، وهنا يلقي الشاعر ظلال نفسه على شخصية الحبيب المقاتل الذي ظَلَّ متمسكاً إلى نهاية القصيدة بتلك الروح النبيلة المتلازمة للثورة والحب الرومانسي في غمار رفض الواقع الموبوء بمظاهر الثقافة الوافدة وقشورها :

تعالي حبيبتي كما أنتِ
تعالي وانتعلي ما شئتِ
فالأرض عندنا ناعمة
ونحن في أول الربيع
ومثلي لا يبيع سيفه
ومثلي لا يبيع. (٢٣)

عند قراءة قصيدة (رجل مع إيقاف التنفيذ) ، تُحِسُّ أنّك تقرأ لشاعر مبدع يتمتع بخيال واسع وبأسلوب سهل ممتنع ، هذه القصيدة تشد القارئ ببراعة الاستهلال (الفراشات فقط) ، وهذا يوحي لنا أن الشاعر يستكمل حديثاً و حواراً لم تصل القارئ بدايته ، فالشاعر ترك الحرية للقارئ أن يتخيله ويتوقعه ، هذه القصيدة مليئة بالصور البيانية الجميلة ، وكأنّ الشعر فيها يطلب الشاعر ويكتبه (٢٤) ، يقول فيها :

الفراشات فقط ..

تقيم وزناً للزمن لأنّها ..
غير معنية بنهاية الأشياء فالموسم رغم اختلاف ألوانها
لاتعني نجاح الانقلاب
والخريف ليس مسؤولاً عن اصفرار الذهب
الميسم مشكوك بصلاحيته
ذلك المتكىء منذ قرون على قارعة التاريخ
رجل مع إيقاف التنفيذ..
بعد أن وضع الحب أوزاره..
سيستجدي عطف الزرازير..
دون أن يسلب التوت حنينه للحجارة ..
وسيكتفي بالتحديق في مؤخرات المدن .
ويبتسم..
نشرة الأخبار نباحاً ..
ستتولى نبأ ركوع الميسم .. الذي لا فرق في ناموسه
بين صباحات العيد ..
والبيان رقم واحد
طالما هناك فراشات
تديم الحياة بالرحيق.(٢٥)

وفي هذه قصيدة نرصد بصمات عبد الوهاب البياتي في أسلوب تناول الحدث الغزلي ، وتظهر على ملامح الحوار والشخصيات ، وفي رموز القصيدة واستعاراتها ، فالغزل الجسدي الصريح تهيمن على حوار المتغازلين ، ولكن عدم التساوي والتوازي الجسدي بينهما بسبب فرق العمر بين طالب اللذة والنشوة ، وبين المرأة في صحوة شبابها ، والرجل في خواتيم عمره ، لكنّه غني يمتلك المال مقابل العوز والحاجة الماسة من بائعة اللذة ، فالرجل يستجدي منها الحب والعاطفة مع عجزه الذكري ، وامرأة تتمادى في غريزتها على الرغم من أنها مومس ، حيث أن الميسم رمز الفحولة والتلقيح والقوة والعطاء والتكاثر ، ويعبِّر عن فحولية صاحبه ، وإذا الميا سم ضعفت عند الزهرة والرجل فلا عطاء ولا رجولة ، وهما في ذلك سواء ، والرجل والميت سواء ، هنا تحققت مقولة "رجل مع إيقاف التنفيذ" ، فأحداث القصيدة الحكائية تشير إلى تلاحم الميسم بلا جدوى ، فضعف فحولية الرجل في القصيدة رمز لضعف فحولية السلطة مما يولد صورة تتشابه فيها صباحات العيد "الولادة" من أول بيان "رقم واحد" واستلام السلطة وهي في أوج قوتها ، فالآن ضعفت المياسم ، ولم يبقَ من عمر هذه السلطة إلّا بقدر عمر الفراشات القصيرة ، التي لا يتجاوز عمرها أكثر من شهرين لأنها تؤدي وظيفتها في الوجود ثم تؤول إلى الزوال والعدم ، وهذا إشارة إلى كل سلطة ظالمة كي تتعظ ، إذا كانت الفراشة راضية عن دورها في الحياة ، فالإنسان يغادر الحياة وهو غير راضٍ عن دوره ، فهو يغادر مجبراً من دون قناعة ، وهذه حال كل سلطة ظالمة . وهذا الغزل في سريانه يعدُّ صورة جميلة في خروجها من نوازع الجسد والعاطفة إلى تخوم الحياة والوجود حيث التشبيه فيه يقوم على نوع من التحذير والهجاء السياسي المعيب لفقدان الرجولة وجفاف المياسم على مستويي الغزل والغزيرة ، وعلى المستوى السياسي والتمسك بالسلطة في زمن كهولتها ، فالمياسم العاجزة على قارعة الطريق تدوسها أخذية المارة إذ " وضع الحب

أوزاره" ، ورجل السلطة على قارعة التاريخ الذي صادر فيه حكم الإعدام مع إيقاف التنفيذ ، إذ لا جدوى ولا فائدة في إعدامه ، وهكذا عنوان القصيدة فيه تناص مع مقولة قرار " الإعدام مع إيقاف التنفيذ" ، في نهاية القصيدة المدورة بين الولادة والإيقاف إذ لا يصلح الرجل للاعدام في "ركوع الميسم" ، و " وطالما هناك فراشات تديم الحياة بالرحيق" من غير مياسم ، إذ وضع الحب والحرب أوزارهما معاً .

إنَّ انشغال السلطان بملذات الحياة كفيل بأن يسوقه إلى مصيره المحتوم ، الانهيار وزوال سلطانه ، ففي قصيدة " آخر صور السلطان" الغزل الصريح ينسج أسطراً شعرية تبوح بطعم اللذة والنشوة على حساب غفلة السلطة عن خدمة الشعب ، فالشاعر يقول :

تَرَجَّلْ
فالحُلمات لا تصلح أزراراً للقميص
ودرعك النهدي
لن يقيك بعد اليوم
سهام الجياع .(٢٦)

الغزل يخرج إلى وصف ترهل السلطة الطاغية وقرب إنهيارها :

مُمَدداً على " الشيرزو لينج"
تريح لا جدوى
فالساعة دنت وإنشق القصر
في الطريق إلى مخبئها
لا شيء يدعو للقلق
إنَّها العربة قد فقدت المسار
فالجياد ...
حوافرها أدمنت "الموكيت.(٢٧)

الشاعر وظَّف بعض ألفاظ أجنبية " شيرزو لينج ، موكيت" في النص ، فهي تومئ إلى الاستخدام السلبي لمظاهر الحضارة ، ذلك في إدارة وفلسفة الحكم والدولة ، فيدعو الشاعر إلى اصلاح العلاقة بين الحاكم والرعية كي لا تكون نهاية السلطان نهاية مأساوية ، إذ انشغلت السلطة بنوازع الجسد والغريزة والترف عن الرعية كما تصورها القصيدة .

عندما نقرأ شعر حامد شنون وفي مجموعته الثانية "رجل مع إيقاف التنفيذ" خاصة ، وفي قصيدة يعيدنا فيها إلى الماضي وهو يعانق الحاضر بجملته وتفاصيله ، فالتاريخ يعيد نهجه ، فالسماء لا تقلع عن أمطارها الحزينة ، وطوفان القهر لا يغيض كي تستوي سفينة النجاة والسلام في عصرنا ، فالغبطة يشوبها الوجع دوماً في العراق ، ولا تنتهي رحلة البحث عن الحرية وعن الإنسان ، فحشرجات الموت تعانق بكاء صراخات ولادة أطفال العراق ، الشاعر ، الإنسان المثالي دائماً يصطدم مع الواقع المرير ، وفي هذا يقول حامد شنون في قصيدة "رجع الناي" :

من شرفة قصر أحزاني
أطلُّ على السوق
قطعان من النمل الأحمر
تتحاشى البوليس

لاشيء سوى الريح
تضرب الآفاق
لتجهض الزقزقة
وتعلن المآثم
لا تحوم سوى الوطاويط
تتقلب ذات اليمين وذات التتار
ورجع الناي
يثير غرائز الذئاب
يا إلهي مَنْ يعيد إلى السنونوات الحياة
والدروب قد خلت
إلّا من أنين الثكالى
وحشرجات الحالمين.[٢٨]

وهذه الحشرجات إشارة إلى الموت المعنوي ، والكبت وحبس الحريات الذي يخيم على المدينة وأهلها ، وقد علّقت على هذه القصيدة الأديبة "عايدة بدر" بقولها وهي تخاطب الشاعر حامد شنون : ولأنّك ترتكب الأمل ياصديقي في عالم دثره الألم بدثار من وجع ، كان الأمل في مثل هذه النفوس التي تقترف بعض الأمل لتزرع الأخضر في جدباء قلوب قست عليها السماء فجفّ عنها المطر ، فالشاعر يغرس الأمل في سنين القحط في قصيدته هذه [٢٩]، ويرجع الشاعر حامد شنون يناجي شاعراً آخر من شعراء الكورد ، وهو يكتب الشعر باللغة العربية ، ألا وهو الشاعر حسين مردان ، يقول حامد شنون في قصيدة " إلى حسين مردان":

ذات يأس
أثقلت جُبّةً مهترئة كاهل الحلاج
فأودعها ضالّة دجلة
السنونوات تبحث عن حضن دافئ
واللحظة صيّاد جائع ..
وأنت مجرد ..
إلّا من سلاح نيرودا [٣٠]
والأخير لا يقرأه أحد.[٣١]

حسين مردان شاعر عراقي كوردي حديث ، معروف في تمرده على الواقع وخروجه عن الأعراف الإجتماعية في شعره ، هذا الخروج وضعه في مسار الشعر الإباحي مرة ، وفي ثلة شعراء الصعاليك مرة أخرى ، ومدعاة ذلك كانت بقصد البحث عن الشهرة كما اشتهر نزار قباني في هذا المضمار ، ومن جهة المفارقة أنّ الشاعرين من عصر واحد فاتخذا الشعر وسيلة للتعبير المباشر عن الحرمان ، وهي الوسيلة الناجعة للشهرة ولتداول شعرهما بين الشباب . وكان الشعر سلاح "نيرودا" الوحيد كما كان التصوف شعار الحلّاج للخلاص من اليأس وأزمات الحياة ، وهكذا هو عند حسين مردان وحامد شنون ، فالشاعر الحق يكون فطناً في إلتقاط لحظات القلق العميقة والمثيرة والمؤثرة في القارئ و(اللحظة صيّاد جائع)[٣٢].

المبحث الثاني

العراق – بغداد – في شعر حامد شنون

الشاعر كتب شعراً عن العراق وبغداد كما كتب عن كوردستان العراق ، وأغلب قصائده قالها في العراق ما بعد زوال الحكومة السابقة واحتلال أمريكا وجيوش الحلفاء للعراق ، فالشاعر يسترجع ما كان أبان النظام السابق في بغداد ، عندما تمَّ حجب دور الثقافة والشعر إلّا مَنْ يكون مادحاً للنظام السابق ، ففي قصيدة " إلى من يهمه الخمر" يوضح حامد شنون أن جملة من الشعراء والمثقفين ا تخذوا من الخمر وسيلة لتخفيف أو لنسيان الواقع المرير ومصادرة نتاجهم بالحظر والمنع ، فعنوان القصيدة يتناص مع صيغة كتاب الأمر الإداري " إلى من يهمه الأمر" ففيّر كلمة " الأمر " بكلمة " الخمر" والكلمتان على وزن واحد ، الأمر يجب ان ينفذ بالقسر وهو صادر عن سلطة عالية لا مناص ، والتنفيذ يكون مكرهاً ، وبالهروب عن الواقع بحالات السكر ، فيقول الشاعر فيها :

بعد أنْ هدّه الحنين إلى الجوع
وأنهكته سنون التنحي عن الأمل
قطٌ يعرض للبيع مخلبه
وغراب يرقبه
ممتطياً متن تمثال
لشاعر وجدوه مُسجّى على الطريق
وقد بقروا بطنه ببقايا قصيدة
وواويل من المارّة
حيارى كل يشكو ليلاه
العين بالجسر ، والجسر بالعين
والمها عرجاء لا تقوى على المشي
في البين بين
فإلى مَنْ يهمه الخمر
تفضلكم بالبكاء.[٣٣]

حقّاً هذه القصيدة جميلة مفعمة بصور تناصية وقعت حوافرها على معانيها ودلالاتها ، فواقع العراق وبغداد أيام الحصار الاقتصادي كان ينوء بالجوع والمرض والنوائب ، فانشغال الشعب بلقمة العيش يلهيهم عن الآثار السلبية التي خلفتها معارك داخل العراق وخارجه " حيارى كل يشكو ليلاه" ، النص فيه تهكم وإزدراء واقع العراق المثقل بالمعاناة والهموم ، الذين يدركون حقيقة طغيان النظام وهو يسوق الشعب والوطن إلى مهالك الحروب أولئك المثقفون والشعراء قد وضعهم النظام الحاكم تحت المراقبة وقلّم أظفر أقلامهم (قطٌ يعرض للبيع مخلبه ، وغراب يرقبه ، ممتطياً متن تمثال ، لشاعر وجدوه مُسجّى على الطريق .....) ، فالعادة جرت أن يُمجد الشعراء بتماثيل لهم وكتابة أشهر أبيات شعرهم على محمل التمثال ، مجرد كلمات تقرأ من المارين على هذا أو ذلك التمثال وهم يتحسرون على إندثار معانيها في الواقع المرير ، ويواجهنا تناص آخر في القصيدة مع بيت الشاعر علي بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري[٣٤]

تمثال هذا الشاعر يمثل تمثالاً لكل شاعر غادره الزمن وظَلَّ شامخاً بشعره ، ولكن هذا الشموخ لا يعني أحداً في حياته ، ويلتقي عنوان القصيدة بخاتمتها من نوع التناص " فإلى من يهمه الخمر ، تفضلكم بالبكاء" وأصل اصدار الكتب والأوامر الرسمية في البداية " إلى من يهمه الأمر" وفي الختام "تفضلكم بالاطلاع" فغيّر الشاعر " الاطلاع" بـ " البكاء " وهو يشير إلى خراب الواقع المجدب ، وهو صار مدعاة للحزن والبكاء عليه ، ودلالة التناصين تُنَبِّه الجهات المعنية والرسمية إلى دور الكلمة والشعر والثقافة عامة في الحياة ، وعدم إهمال أهلها ودورهم في بناء الحياة .

بعد انقلاب الوضع السياسي والحكومي في العراق ، فالواقع العراقي يطرح الانقسام المذهبي والتزمت الديني والمذهبي ، الشاعر حامد شنون يصوّر هذا التزمت الذي بسببه يتحول الوطن الكبير إلى سجن صغير كغرفة السجن ، المواطن فيه خاضع لإقامة جبرية وقهرية ، فيقول في قصيدة " إقامة جبرية":

في هذه الغرفة التي تعجُّ باللئام
لا شيء على مايرام
فالشعر هرطقة
والغناء حرام
في هذه الغرفة التي خَلَتْ من الرجال
لا أحد غير الأعور الدجّال
مختالاً يجوب أزقة المدينة
والناس في سجال
كلٌ يذود عن دينه
في هذه الغرفة التي يكسوها العفن
توقف الزمن ..
لا شيء غير عجوز هدّها الوهن
بعد أن بذلت ثمار ضرعيها
قرابين على مذبح الوطن
علّقت في بابها يافطة تقول :
رحم الله زمان اللبن
في هذه الغرفة التي تُدعى جزافاً وطن
لا شيء يؤتمن.(٣٥)

في القصيدة إشارة مقذعة إلى الانقسام المذهبي والتزمت الديني بين أفراد الشعب العراقي ، وقد عَمَّق وعظّم هذه التفرقة تجار الحروب والسياسة ففرّقوا بين الشعب حتى يسودوا وينفردوا بالحكم و بخيرات العراق ، ويستغلون تضحيات الوطنيين وبسطاء الشعب الذين تخدعهم شعارات وهمية لا وجود لها على أرض الحقيقة والواقع ، الوقع النفسي شديد ومؤلم في القصيدة ، فالناس متوزعون بين المخدوعين وبين المجبرين على العيش في هذا الوطن"العراق" – وهم يفتدون بالغالي والنفيس – للوطن الذي حال إلى غرفة سجن بإقامة جبرية لكل الشعب في إشارة إلى ضياع الحقوق عامة وحقوق عوائل الشهداء خاصة في هكذا زمن وهكذا وطن ، فالأُمُّ الثكلى في القصيدة أنموذج في ضياع حقوقها وابنها الشهيد وهي تنعى حالها وندمها على

تضحيتها في وطنٍ الناسُ فيه في سجال طائفي وضياع للحقوق وسلب للأموال العامة والخاصة بغير الحقّ . فالجهل سيف التخلف والنفاق درعه، ويؤكد حامد شنون هذه المعاني في قصيدته "الحقيقة" :

بالضد من إرادتنا
سيستمر عرض المسرحية
وستمضي قلوبنا دون جدوى
خافقة...
لأننا نتسول النصر في حروب
خضناها ومازلنا ..
بخيول نافقة
وسيوف منافقة.(٣٦)

السمة الغالبة على حروب العراق المعاصرة أنَّها تُخاض بقدرات عراقية صعبة يتحكم بها دول الجوار والغرب ، وهي حروب مفروضة ومحاكة قبل نشوبها ، وهي حروب خاسرة تهدر قدرات الشعب وتجرُّ الويلات عليه .

الشاعر حامد شنون يستمر في قول الحقيقة والمناشدة بوساطة الشعر والكلمة المقاومة لفضح جبابرة الظلم والحكم وأصحاب النفوذ في العراق ، فهو يقارعهم لكسر قيود الظلم وليكفُّوا عن تهميش الإنسان وسلب حريته ، فقصيدته " قيود " تجسد منبر خطابه هذا :

ذبحتنا هذه القوالب
من قال أن بحور الشعر
تحتاج إلى قوارب
ما جدواها حروف العلة
ما نفعه ضمير الغائب
إذا كان المفعول به مجهول
والفاعل غالباً نائب
مازلنا منذ عمرو بن كلثوم
نبحث عن شاعر كاذب. (٣٧)

هذه القوالب والمسميات ليست قوالب الشعر والنحو ، وإنَّما هي رموز وكنايات إلى الواقع المتردي الذي يعيشه العراقيون مكرهين ، فيه يتجاهل الضحية ويكرم الجاني ، الشاعر الكاذب هو الشاعر الأعذب في خيال شنون ، فأعذب الشعر أكذبه ، وإلى جانب الخيال في الشعر يقف الصدق ليقوم الشعر بصدق المشاعر ونُبل العواطف فيتذكر حامد شنون "عمرو بن كلثوم" هذا الشاعر " الجاهلي " الذي جسّد في شعره واقع حياته وسيرته ، ليبحث عن شاعر أو قائد مثله يبلّغنا الخلاص من الرذيلة ، وهذا البحث يوحي بالأمل الذي فينا بمستقبل مبهم ، وهذا الأمل خيرٌ من يأس فينا يعوم .

الشعر عند شنون تعبير عن الداخل والخارج ، فالذات والواقع يجريان على مستوى واحد في شعر حامد شنون ، بل في كثير من قصائده يطغى الواقع على الذات على نحو لا يترك مساحة للوجدان أن يتنفس الصعداء فيعطيها الشاعر حقّها في شعره وسيرته ، فضلاً عن إسرافه في وصف واقع العراق فهو يعتذر من الوطن عن قصور تغاضى عنه قلمه وفعله ولسانه ، فيقول في قصيدة " اعتذار " لبغداد :

مثقلاً بالهزائم
يجترُّ أغانيه البعيدة
وحيداً يقلّبُ الطرف في سماء خاوية
إنّا من غربان جوعى
وليس في اليباب
إنّا أشلاء قرباه
* * *
الله ...
لا شيء سوى صداه
يخرق صمته حاملاً أنين الثكالى
وقهقهات الغرباء العابثين
يتذكر صباه
* * *
بغداد .....
ياسرّ إثمي ومغفرتي
هل ما زال في الأجل فسحة
للإعتذار....[٣٨]

الشاعر شنون يطلب تبرأة ذمّته على ما جرى على بغداد من ويلات ، وإنْ كان لا باعة له فيما جرى ويجري ، وكل مُناه أن يمُدَّ الله تعالى في عمره كي يعتذر لمعشوقته بغداد ، ولكي يحتفل بها بمغادرة الغرباء من جيوش وميليشيات أجنبية ، وكذلك في قصيدة " عولمة " يؤكد أمنيته مغادرة الأغراب الذين جاءوا إلى بلادنا وأباحوا مظاهر تجارة المسكرات ، ومظاهر العولمة التي طغت على سكان القصور و تحجرت بسببها العقول ، فيقول :

حديقتنا الخلفية أصبحت متجراً للخمور
ومياسم الزهور ..
تفترش الآن أرصفة المدينة
تستجدي قبل أفول الشمس
عطف العابرين ..
ماذا .. وإنّا فإنّها ستموت عالقة بأحذية الغرباء
فالقصر والقبر ..كلاهما سجنان
الأول للعقل .. والثاني للجسد.[٣٩]

بعد زوال نظام " صدام حسين" ودخول الجيش الأمريكي وعصابات من دول الجوار من تجار الحروب ، تفشت بيع المنوعات على أرصفة الشوراع وفي أسواق بغداد من مثل حبوب الجنس والسكر وكتب وأفلام ومجلات وأقراص تهتك الحياء والأعراف ، وكتب السحر ، هذا ما جاء به دعاة العولمة ، فضلاً عن القنوات الفضائية التي تعرض الأفلام الاباحية التي تتعارض كلياً مع أعراف وقيم دينية وخلقية في المجتمع العراقي ، هذه ما صورته لنا هذه القصيدة بالنقد والاستنكار.[٤٠]

الشاعر لسان الحرية وسلاح مقارعة الظلم والاستبداد ، يوظّف ما يلاحظه في واقعه في شعره ، وهذا ما لا يرضاه له أية سلطة حاكمة " لذا يكون مستهدفاً من قبل الطغيان والتسلط ، ففي قصيدة " بين قتيل وعميل " يقدم لنا الشاعر حامد شنون هذا الصراع الواقعي والتراجيدي بين الشاعر والسلطة ،إذ يقول :

استهلكتا هذه الفيافي
كلما لبّى نداء الشمس شاعر
ناكئاً جرح القوافي
صادحاً يا قهر كافي
أردیناه قتیلاً ...
كُلّما للسيف أطلق جُرحه ثائر
قاصداً ليلَ المنافي
سائراً وحده .. حافي
أسميناه عميلاً ..
يا بطاحاً حرقنا عمرها الجميل
حرقناها ...
بين قتيل وعميل.[٤١]

وعن هذه القصيدة تقول الأديبة سفانة بنت الشاطئ : ((استهلكنا من فرط الصدمة حواسنا ومساحات الحرية ، فرك الماء عينيه و تجمع في محبرة شاعر ، " حامد شنون " يختزل رحلة المأساة ويقضم القوافي ، وكلُه يقين أنّه سيشلُّ يد الواقع ، تخطّى حدود الممنوع ، نعم واستخرجوا شهادة وفاته ، في قصيدة " بين قتيل وعميل " تأرجحنا ، وحطّت ذائقتنا على أغصان الجمال المورقة ، تلتفظ المشهد وتصوره بفلسفة عميقة ، ونظرة تأملية تلامس الخدوش بقسوة تارة وبرقة تارة أخرى .....)).[٤٢]

الشاعر والشمس كلاهما رمز للحرية ، فالشمس خالدة بضيائها ، والشاعر خالد بكلماته والتزامه ، فلا يسكت عن الباطل ، ولا يتوقف عن قول الشعر ، وعن دعوة الحقّ والحرية ، ولا يوقفه عن كل ذلك القذف بالعمالة أو النفي أو القتل من قبل هذه الفيافي " الحكومات الجائرة" التي تستهلك الشعوب من دون عطاء .

ويأخذ الإعتذار اتجاهاً آخر أشدُّ بغضاً في نفس الشاعر ، فإذا كان يطلب الاعتذار في قصيدة " اعتذار " " الآنفة الذكر" لنفسه ولشعبه ، ففي قصيدة " اعتذارية بطعم الإثم " يطلب من بغداد أن لا تُعذِر ولن تعذر أولئك الذين قدَّمُوا بغداد لتترية العصر وقدّموها حطباً لنيرانهم ، فيتكلم الشاعر حامد شَنون باسم الجماعة فيقول :

مرة أُخرى ..
يا بغداد مرة أُخرى
يُوَتِّر هرقل قوسه ، ويشحذ سيفه كسرى
فضيحة كبرى ..
فنحن من زين للتتار
بثياب حريمه واجهة الدار
وعاد غداة الذي صار ليقول كلا
عاد ليبصم بالعشرة كي لا

يقطف من جنينته زهرة دفلى
ونحن من باع للمجوس
إيقونة الناموس
وعاد غداة سكرة ليدوس
خمار أخته الثكلى
ويلعق نعل قاتله كي لا
يفشي سرّ محضيته الحبلى
ونحن من سلمّ للأعراب
في ساعة نشوة مزلاج الباب
بغداد ...
لا تعذرينا وأنت تحترقين
فنحن من أشعل النار
ونحن من ..... ياللعار.(٤٣)

الشاعر يناجي بغداد ، ويستحضر تاريخها ، ويشير إلى أطماع الروم والفرس " يوتر هرقل قوسه ، ويشحذ سيفه كسرى" ، ويذهب إلى نوع من جلد الذات ، الاعتراف بالخطيئة الناجمة عن الفضيحة " يا بغداد فضيحة كبرى" ، فيتكلم بلسان الذين أضاعوها ، الذين هيأوا أرضية لجلب المستعمر ، حين عرضوا مفاتنها بنوع من السمسرة وتجارة الرقّ ، ولم يعرفوا كيف يطرحون أفكارنا وتاريخنا وحضارتنا ، فإختصر الشاعر ذلك بصورة جسدية ، جنسية " فنحن من زين للتتار بثياب حريمه واجهة الدار " فأغروا الطامعين ببغداد فإجتاحوها بالخراب والدمار ، فندم هؤلاء " المعارضة العراقية " بعد إحتلال بغداد . ففي القصيدة إشارة واضحة للمعارضة التي روّجت للاحتلال بزعمهم أنَّه تحرير ، وبعد أنْ استقر المحتل في بغداد وظهرت نواياه المعروفة مسبقاً ، التي غضَّ النظر عنها أطراف المعارضة مغلبين مصالحهم الشخصية والحزبية ليقولوا كلا " وعادة غداة الذي صار ، ليقول كلا " ، كلَّا للاحتلال ، وبعده " عاد ليبصم بالعشرة كي لا ، يقطف من جنينته زهرة دفلى " الزهيدة من حديقة بيته كناية عن تفضيل مصالحة الذاتية على " إيقونة الناموس" ، الناموس كلمة تدل على الشرف ، وأسرار بيتنا أغلى ما يملكه الناموس ، أسرار سيادة البلد بمعناه العميق أباحها للمغتصب هذا المعارض كان في سكرة لم يعِ تحالفه مع الأجنبي(٤٤) .

في كل سطر من هذه القصيدة " اعتذارية بطعم الإثم" تقليل لفظي وتكثيف دلالي يتطلب التعمق في تفسيرة ، فـ " خمار أخته الثكلى " إذ يدوسه أحذية الغزاة سببه هو ، هذا المعارض ، وهذا كناية عن تسببه في هتك العراق حين تمادى في غيِّه باللجوء إلى الشعارات البرّاقة ليطرح نفسه من جديد مدافعاً عن الأرض والعرض في خطابه للشعب ، والآن عاد " يلعق نعل قاتله ، كي لا " مرة ثانية من أجل المحافظة على مصالحه وأمواله عاد كما فعل في المرة الأولى عندما حرَّضَ وساند الأجنبي لاحتلال العراق ، حتى لا يفشي هذا الأجنبي المحتل " أسراره الحبلى" ، محضيته أي خليلته الحبلى من أثر الزنى ، فهي حبلى بكثرة تهاونه ومذلته وهفواته واغتصابه لأموال الشعب .....(٤٥).

ثم يواصل الشاعر ليكمل أطراف المتسببين في احتلال " العراق – بغداد" فيذكر الأعراب : " ونحن من سلمّ للأعراب ، في ساعة نشوة مزلاج الباب " باب بغداد وأبواب العراق خلعوها هي ومفاتيحها فسلموها للغزاة في إشارة للدول العربية التي أدخلت الجيش الأمريكي وجيوش التحالف مثل الأُردن والسعودية والكويت ... التي

شاركت في كارثة احتلال العراق ، ومقصد القصيدة أنّ المعارضة تدّعي أنها تدافع عن مكونات الشعب العراقي ، ففي الوقت ذاته لا تفرق بين هويات المحتل " الروم ، الفرس ، الأعراب " المهم هي تريد السلطة والجاه والمال ، لا تهمها دولة الشعب .

ويعود الشاعر ينادي ويناجي بغداد كي يُدَوِّر خاتمة القصيدة بعنوانها " اعتذارية بطعم الإثم " ، فيقول :

بغداد .. لا تعذرينا وأنت تحترقين
فنحن من أشعل النار
ونحن .....ياللعار[٤٦]

فهذه دعوة إلى بغداد ، بغداد الحضارة والأصالة والثقافة والشعر والفن والإنسانية ، أنْ لا تصدق أحداً ، ولا تركن لأقوال المحتلين ومن تبعهم من الأذلاء ، وإنّما يبلغ الغضب " عند الشاعر حامد شنون" ذروته وهو يدعو بغداد للثورة وتكذيب أولئك تجار الحروب والسياسة ، وقوله " ونحن ..... يا للعار " دعوة إلى رفض الاعتذار وترك وصمة عار على جباه المتخاذلين ، وهذه النقاط ما بين " نحن .....ياللعار" دلالة على توكيد كل ما قيل في القصيدة من معان.[٤٧] ويتطابق ذلك مع ما طرحتها الأديبة منوبية كامل الغضبان في تعليقها عن القصيدة : ((فمتى نعي يا حامد أننا اليوم في جلّ أوطاننا نفقأ عيوننا بأصابعنا ونفخر بهذا ، إنها صفقة الوطن منّا نصادره ونصادر تاريخه ومجده ... إنه التجني ياصديقي على أوطاننا وبإمتياز ... فمتى نعي ومتى نعتذر فنتوب ولا نؤوب ، كم جاء النص منك رهيباً صاعقاً ..... بحرفية وإقتدار ، قلت كيف تعتذر للوطن))[٤٨] فالذي يلحق العار بالوطن فلن يقبل اعتذاره .

الشاعر أينما يحلُّ فهو كالنحل لا يأتي إلّا بالخير ، وهو كالمطر أيضاً ، ففي قصيدة " غيمة ترتكب الهطول " يشبه حامد شنون الشاعر بهذه الغيمة التي تهطل بالمطر فيقول :

متنكر في زيّ غيمة
أجوب دروب قريتي
بيوتها .. شطئانها .. حتى النساء
كما الوجوه كلها .. أدمنت القحط
حقولها المزروعة بالإسفلت
ترفضني .. تنكرني
تعاملني كوباء
في زمن المُهَجّنين.[٤٩]

الغيمة والمطر رمز للخير والنمَاء ، ولكن في عنوان هذه القصيدة " غيمة ترتكب الهطول " يتحول هذا الرمز إلى مزيج رمزي بدلالة كلمة " ترتكب" التي تستخدم للإثم والخطيئة ، فيلقى الشاعر الرفض والاستنكار في تناقض دلالي من خلال تحول القرية وأهلها وأرضها إلى أسفلت ووجوم ترفض الشاعر ، وتستحب القحط وترى فيه وباء في زمن المهجنين الذين تركوا أصالتهم النبيلة ورضوا بالمهانة ، فالشاعر يتعجب منهم ، كيف أنّه يريد لهم الخير ، وهم " المجتمع" يرفضه عن عتوّ وبلادة ، وربّما الخوف المتسلط عليهم من قوة غاشمة فيتحاشون الشاعر وأفكاره وشعره ، وهكذا تتناقض وظيفة الغيمة بين قطبي الحوار ، وهنا تولد شريحة من الناس تقترب إلى السلطة بقصد المصلحة والإنتفاع المادي والمعنوي وباستغلال فرص اضطراب البلاد وحيرة الناس في مرحلة إنتقالية يجهلون نهايتها ، فيتقدم أراذل الناس لمجاراة الظرف السياسي والإداري في الدولة ، فيشير الشاعر حامد شنون إلى هؤلاء في قصيدة "لا بأس" :

أسمع كثيراً عن فلان
عن أنّه منافق جبان
وأن الأمريكان
أكرموه حين احتلوا المكان
لا بأس حتى الآن
فهو في النهاية إنسان
إنّما الذي حيرني
وغادرني معقود اللسان
أن أراه اليوم يتزعم الأحرار
والثوّار .... يرجونه كي يصبح السلطان
لا بأس يا وطني
وهل جزاء الإنسان إلّا إحسان.(٥٠)

في القصيدة إشارة واضحة لا تحتاج إلى عناء ، فأراذل المتملقين هم الذين سايروا الأمريكان ، وغطّوا المشهد السياسي والإداري في العراق في أثناء وبعد الاحتلال الأمريكي للعراق ، وفي قصيدة " صور من بلادي" يستدرج الشاعر بعض الآثار السلبية التي تركها الاحتلال الأمريكي للعراق ، فيقول :

هنا نخيل تكالب عليها الدوباس
وهنا سهول هجرتها الشموس
وهناك جبال تُخصى عليها البطولات.(٥١)

يصور الشاعر هنا خارطة العراق الجغرافية ، النخيل إشارة إلى جنوب العراق ، والسهول إشارة إلى الهلال الخصيب في وسط العراق ، والجبال تمثّل طبيعة شمال العراق ، فتكالب الدوباس على نخيل الجنوب كناية عن اهمال بساتين النخيل في جنوب العراق ، إذ جرفت وأُحرقت بعضها بسبب الحروب ، ويبست بعضها الآخر بسبب الإهمال وقلة الإرواء ، وعدم مكافحة حشرة الدوباس التي تصيب النخيل بمرض فتقعدها عن طلعها التمر ، وفي القول إشارة إلى تجار الحروب كيف تكالبوا على آبار النفط في جنوب العراق فتقاسموا ريعها ، أما السهول التي هجرتها الشمس بسبب إهمال الزراعة وهجرة الفلاحين إلى المدن والعمل في دوائر الدولة برواتب مجزية فتغنيهم عن عنت الزراعة ، فضلا مِنْ أنّ هناك أيدي خارجية دسيسة ساهمت على إهمال الزراعة ليكون العراق دولة مستوردة ومستهلكة فحسب بلا انتاج زراعي وتعتمد في غذائها على دول الجوار ، فهجرت الشمس تلك السهول التي للشمس دور في إنبات وإنتاج ونماء زراعتها ، وتحولت هذه السهول إلى كتل يابسة مهجورة .

أمّا الجبال ، فهي من بعد ما كانت رمزاً للشموخ والنضال المسلح في كوردستان العراق ، والبيشمركة يلجئون إليها وقت المعارك ، فالسياسيون ومنهم الجدد خاصة أهدروا هذا الرمز الإيجابي وتحولت الجبال إلى رمز إخصاء رجولة الكفاح المسلح لبعض فصائل البيشمركة ، ويظلّ هذا النص مفتوحاً " كغيره من النصوص" لتفسيره على وفق القراء والقراءات .

الخاتمة :

١- مال الشاعر حامد شنون إلى قصيدة النثر أكثر من غيرها ، رُبَّما كان يعاني صعوبات في ضبط أوزان و بحور الشعر العمودي فتخلَّف عن نظم نتاجه الشعري على وفقها إلَّا من بعض قصائد عمودية اضطربت فيها ا لألفاظ والمعاني وكأنَّه يجرها إلى أوزان البحور بصعوبة بالغة لا تستقيم الموسيقى فيها مع الشكل والمضمون إلَّا نادراً ، ومن هذه القصائد : " هو العراق ، كان أبي ، إلى محمود درويش ، ألق الجذور) ، فلم تكن هذه القصائد مضبوطة عروضياً فاستغنى عنها الباحث في هذا البحث .

٢- هناك تطور و نمو واضح في نظم القصائد ومسيرتها عند الشاعر ، فقصائد المجموعة الشعرية الثانية " رجل مع إيقاف التنفيذ" أكثر كثافة وبلاغة ووعياً من قصائد المجموعة الشعرية الأولى " غناء القبرة" .

٣- استخدم الشاعر بعض الألفاظ الكوردية في بعض نصوصه الشعرية التي قالها عن الكورد وكوردستان من مثل : خرمان ، كلبهار ، البيشمركة ، إشكفت ، هوره مان ، كوران ، سيوان ، كاوه ، هوكر ، آراس ، الإشكفت ..... وجاءت هذه الألفاظ في شعره لخدمة وتعميق دلالة النص .

٤- يمكن وصف الشاعر حامد شنون من شعره ،أنّه إنسان وشاعر مبدع وصادق في إنسانيته.

٥- يتبين لنا من قراءة شعر حامد شنون أنه ضحى بعواطفه الوجدانية " الذات ، الحب الرومانسي الشخصي " بعواصف كيان الوطن من زاخو إلى الفاو .

٦- شعر الشاعر ينفذ إلى قلب القارئ من دون رخصة ولا عناء ، فهو اختزل الألفاظ بمعان كثيرة وعميقة استنبطها من واقع الشعب العراقي بكل أطيافه بلا فرقة ، وإنَّمَاْ بحياد إنساني يحثُّ على التعايش بسلام ووطنية تخدم الجميع .

٧- يتعمد الشاعر بإختيار عنوانات مستفزة في محاولة لإثارة شهية القارئ وجرِّه إلى الغوص في أعماق القصيدة ، بقصد إدراك دلالاتها ، من مثل : " رجل مع إيقاف التنفيذ ، غيمة ترتكب الهطول ، آخر صور السلطان ...".

هوامش البحث ومصادره :

(١) ينظر : رحلة إلى العراق سنة ١٩١٦ ، جيمس بكنغهام ، ترجمة : سليم طه التكريتي ، مطبعة أسعد – بغداد ، ١٩٦٨ : ٢/٢٠٨-٢١٢.
ارتميتا : هو الاسم الإغريقي لمدينة خانقين ، وتعني الموقع الخصب ، ذو الهواء النقي.
(٢) غناء القبّرة ، حامد شنون ولي ، إصدار جمعية تطوير أرتميتا ، خانقين ، ٢٠٠٧ : ٣٧.
(٣) سورة النجم : ١٤-١٥..
(٤) غناء القبرة : ٤٠.
(٥) اسم منطقة في خانقين كانت ليلى قاسم تسكنها.
(٦) غناء القبرة : ٤١ – ٤٢ .

(٧) المصدر نفسه : ٤١.

(٨) المصدر نفسه : ٤٢.

(٩) رجل مع إيقاف التنفيذ ، مجموعة شعرية ، بخط الشاعر حامد ولي شنون : ١.

(١٠) غناء القبرة : ١٦.

(١١) المصدر نفسه : ١٧ – ١٨ ..

(١٢) صحيح مسلم ، بشرح الامام يحيى بن شرف النووي ، حديث رقم ٢٥٦٤ ، دار الخير ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ ، (د . ط) ، توزيع دار السلام ، القاهرة : ج٤ / ٤٦٥٠ .

(١٣) غناء القبرة : ١٩ – ٢٠ ..

(١٤) المصدر نفسه : ٢٠.

(١٥) المصدر نفسه : ٢٠ – ٢١ ..

(١٦) المصدر نفسه : ٢١.

(١٧) المصدر نفسه : ٢٤.

(١٨) المصدر نفسه : ٢١ - ٢٢.

(١٩) المصدر نفسه : ٢٢ -٢٣.

(٢٠) المصدر نفسه : ٣٥ –٣٦ .

(٢١) المصدر نفسه : ٣٦ .

(٢٢) المصدر نفسه : ٣٧.

(٢٣) المصدر نفسه : ٣٨.

(٢٤) ينظر : الانترنيت ، منتدى نبع العواطف الأدبية ، المشرفة : د . عواطف عبد اللطيف ، المحقق : شاكر السلمان ، تعليق الشاعر والناقد : الوليد دويكات ، ٢٠١٢/٨/٢٤..www.nabee-awatf.com

(٢٥) رجل مع إيقاف التنفيذ : ٦.

(٢٦) المصدر نفسه : ١٤.

(٢٧) المصدر نفسه : ١٤.

(٢٨) المصدر نفسه : ٢.

(٢٩) ينظر : منتدى نبع العواطف الأدبية ، تعليق عائدة بدر ، ٨ / ٦ / ٢٠١٢.www.nabee-awatf.com

(٣٠) ينظر : الأنترنيت ، ويكيبيديا الموسوعة العربية ، بابلو نيرودا ، شاعر تشيلي الجنسية ، عاش في اسبانيا ، ولد في تشيلي عام ١٩٠٤م ، قال مقولته المشهورة " الشعر سلاحي الوحيد " ، نال جائزة نوبل للآداب عام ١٩٧١م ، توفي في تشيلي عام ١٩٧٣م.

(٣١) رجل مع إيقاف التنفيذ : ١٠.

(٣٢) المصدر نفسه : ١٠ ، وينظر : من ملامح العصر ، محي الدين إسماعيل ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٣م : ٤١ – ٤٢ .

(٣٣) رجل مع إيقاف التنفيذ : ١٢.

(٣٤) ديوان علي بن الجهم ، المملكة العربية السعودية ، وزارة المعارف ، المكتبات المدرسية ، (د. ط) ، (د . ت) : ١٤٣.

(٣٥) رجل مع إيقاف التنفيذ : ١٥.

(٣٦) المصدر نفسه : ١٦.

(٣٧) المصدر نفسه : ١٧.

(٣٨) المصدر نفسه : ١٨.

(٣٩) المصدر نفسه : ٢٢.

(٤٠) لقاء مع الشاعر حامد شنون في ١٣ / ٣/ ٢٠١٧.

(٤١) رجل مع إيقاف التنفيذ : ٢٣.

(٤٢) منتدى نبع العواطف الأدبية ، تعليق الأديبة سفانة بنت الشاطئ ، في ٢٥ / ١ / ٢٠١٢.www.nabee-awatf.com

(٤٣) رجل مع إيقاف التنفيذ : ٣٥ ، ٣٦ .

(٤٤) لقاء مع الشاعر حامد شنون في ٢٢ / ٣ / ٢٠١٧.

(٤٥) لقاء مع الشاعر حامد شنون في ٢٣ / ٣ / ٢٠١٧.

(٤٦) رجل مع إيقاف التنفيذ : ٣٦.

(٤٧) لقاء مع الشاعر حامد شنون في ٢٤ / ٣ / ٢٠١٧.

(٤٨) منتدى نبع العواطف الأدبية ، تعليق الأديبة منوبية كامل الغضباني ، في٢٦ / ١ / ٢٠١٢.www.nabee-awatf.com

(٤٩) رجل مع إيقاف التنفيذ : ٢٥.

(٥٠) المصدر نفسه : ٢٧ .

(٥١) المصدر نفسه : ٢٦ .

Abstract

Hamid Shanon is one of the Iraqi poets who writes modern poetry in its different types such as" Free verse, poetry, and Prose". Modern themes take a major space in his poetry where he adds the feature of newness. This study aims to explore these themes and style directly and indirectly. The poet tries to show the aesthetic value of poems that include viewed subjects of Kurd and Kurdistan, Iraq/Baghdad and so on. These topics represent the core of this literary study in present research. "Hamid Shanon's Poetry, objective study".